

المستخلص

صلاح عبد الامير احمد. مشكلة التعالي والمحاينة في الفلسفة الحديثة : كانت
انموذجاً. (رسالة ماجستير).- بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الاداب : قسم
الفلسفة ، ٢٠١٠ .

تعالج هذه الرسالة الموسومة بعنوان (مشكلة التعالي والمحاينة في الفلسفة الحديثة - كانت
انموذجاً) إشكالية مفهومي التعالي والمحاينة في الفكر الغربي الحديث ؛ لمعرفة مدى علاقة كل
منهما بالآخر على مستويين المعرفي والميتافيزيقي وبخاصة عند فيلسوف الفلسفة النقدية
الأشهر كانت . والأطروحة التي تقوم عليها هذه الرسالة هي التالية : إن كانت قد نقل مفهوم
التعالي لدلالاته الفلسفية من الجانب اللاهوتي إلى الجانب المعرفي ، بحيث أصبح هذا المفهوم ،
وعلى هذا المستوى حصراً ، مفهوماً محايناً ؛ وقد أتاح له هذا الانتقال الخوض في مجالات
الميتافيزيقياً برؤية جديدة ، أما عند الفلاسفة المحدثين السابقين له ، فإن الانفصال بين مفهوم
التعالي والمحاينة حافظ على استمراره التراثي في الفكر الغربي باستثناء سبينيوزا كما هو واضح
من فلسفته ، وطبقاً لهذه الأطروحة المزدوجة قسمنا محتوى الرسالة إلى قسمين رئيسيين هما :
مشكلة التعالي والمحاينة في الفلسفة الحديثة قبل كانت ، والقسم الثاني التعالي والمحاينة في
فلسفة كانت .

يناقش القسم الأول مفهوم التعالي والمحاينة عند الفلاسفة المحدثين السابقين لكانت ، ابتداءً
من ديكارت ومرورا بسبينيوزا ولوك ولايبنتز وبركلي وانتهاءً بهيوم ومن خلال بعدين : معرفي ،
ولاهوتي ، ومن ناحية معرفية تدل المحاينة على وعي الذات بوجودها وعياً مباشراً ، حاضراً
للذات دون الحاجة إلى عنصر خارجها ، وهذا المعنى يعد قراءة من الباحث للكوجيتو الديكارتية
على وفق مشكلة التعالي والمحاينة ، أما عند سبينيوزا فإن المحاينة تعني أن وعي الذات بوجودها
والأشياء الخارجة عنها تماماً في النفس البشرية لأن النظام العقلي هو نفسه نظام الأشياء ، وعلى
هذا الأساس أن ما في الذهن يطابق ما في الواقع . أما لوك فإن الذات حاضرة لذاتها حضوراً
حديسياً ومثله لايبنتز وبركلي ، والنتيجة يرى الباحث أن المحاينة تدل على أن الذات حاضرة
لذاتها حضوراً مباشراً دون الحاجة إلى مصدر خارجها وهذا وعي الذات بذاتها وعياً محايناً .
وهذا المعنى ينطبق على ديكارت وسبينيوزا ولوك ولايبنتز وبركلي وهيوم . ولكن على المستوى
الميتافيزيقي تخرج المحاينة إلى التعالي بافتراض وجود جوهر مادي خارج الذات ، وعلى
المستوى اللاهوتي يحدث ذلك عند بركلي عندما حاول أن ينقذ وجود العالم بالوجود الإلهي خارج
الذات .

والتعالي ممكن مع لايبنتز وإن كان يقول بأن المونادة لا نوافذ لها ، لأن الذات ترتفع إلى
التعالي إلى الأفعال المنعكسة التأملية ، ولا يمكن القول بالتعالي المعرفي عند سبينيوزا لأن النظام
العقلي هو نفسه نظام الأشياء ، وكذلك بركلي لأن الذات إذا تجاوزت ذاتها نحو الموضوعات
الخارجية فإنها لا بد أن تعطي فرضاً وجوداً مستقلاً عن الذهن وبالتالي تقدم الموجود الخارجي
على إدراكنا و الذي سيكون غير مدرك وكذلك غير موجود لأن وجود الموجود هو أن يُدرك أو أن
يُدرك .

وعلى المستوى اللاهوتي يرى جميع الفلاسفة الذين استعرضنا آرائهم أن الله متعال عن العالم أي مستقل عنه ، باستثناء سبينوزا الذي يرى الله علة محايثة لا متعددة ويوحد بين الله والطبيعة وهذا ما يثير عدد من المشكلات تتعلق بتأويل فلسفة سبينوزا وسبق أن تعرض لها الدكتور فؤاد زكريا في كتابه (سبينوزا) ولم ينشغل الباحث بهذه التفاصيل لكي لا يبتعد عن موضوعه . وعلى هذا المستوى من التحليل تناول الباحث كتمهيد لموضوعه التعالي والمحايثة في الفلسفة الوسيطة يهودية ومسيحية وإسلامية على سبيل الإيجاز .

ويناقش القسم الثاني : التعالي والمحايثة في فلسفة كانت في فصلين ، تناول الأول منهما مفهوم التعالي والمحايثة عند كانت حيث نقلهما من دلالتهما الفلسفية اللاهوتية إلى دلالة معرفية خاصة به ، فيدل التعالي على الشروط القبلية للمعرفة ، وتدلل المحايثة على ما ينطبق داخل حدود التجربة الممكنة ، وكلاهما يتقابلان مع العالي الذي يتجاوز حدود التجربة الممكنة .

والثاني تناول المنطق المتعالي وعلاقته بالمحايثة حيث يمثل المنطق المتعالي ابتكاراً كانتياً يدرس فيه صور الأحكام المكونة للمعرفة من حيث أصلها ومنبعها ويبين أنها من طبيعة العقل وليست مستمدة من التجربة ، فيضع أسس معرفية لميتافيزيقا ممكن أن تنطبق داخل حدود التجربة الممكنة أي أن تكون محايثة .

لكن كان عليّ أن أهد لهذا الفصل بمحاولة اعتقد أنني (بتواضع) بذلت فيها جهداً كبيراً ، ألا وهي محاولة تعديد المصطلح الكانتي بما يتعلق بالمفهومين مدار البحث حصراً ، فتعرفت على أن هنالك إستراتيجية خاصة لتعديد المصطلح اتبعها كانت في كتابه الأشهر (نقد العقل المحض) ، وأشار إليها في كتابه (نقد العقل العملي) ، وقد استفدت منهما كثيراً فيما كتبت في هذا السياق ، فانتقلت إلى تحديد هذين المصطلحين بمعنييهما الكانتيين ، ولكن بما أن مفهومي التعالي والمحايثة طرحهما كانت في سياقات يفحص فيها فحماً نقدياً ماهية الفلسفة مستشرفاً أبعاد فلسفته الخاصة ، فكان عليّ أن ابحث في الفلسفة والتفلسف والتساؤل الفلسفي الكانتي ، وبما أن هذا الفضاء من التساؤل في ماهية الفلسفة لا يخرج عن ذلك الذي يطرح السؤال كما يقول هيدغر ، فكان عليّ أن اطرح الأسئلة الكانتيية المعروفة في هذا الصدد ومناقشتها وذلك تحت عنوان (الجذر الرباعي للتساؤل الفلسفي الكانتي) واقصد بالجذر هنا دفعا لأي التباس هو الإنسان ، وأمل أن تكون هذه العبارة موفقة .

والبحث في الإنسان على وفق الرؤية الكانتيية وعلى وفق الأسئلة الكانتيية تلك ، يرتبط ارتباطاً بمفهوم الحقيقة لذلك أنهيت بحثي بالمعنى الكانتي لهذا المفهوم وعلاقته بمفهومَي التعالي والمحايثة .